

الفصل الرابع
نقد الميتافيزيقا
في الفلسفة الوضعية



obeikan.com

تمهيد

أثار التفكير الميتافيزيقي - من قديم الزمان - موجة من النقد والشك والسخرية، بدأت بأصحاب مذهب الشك Scepticism⁽¹⁾ الذين هاجموا جميع الفلسفات الدوجماتيقية (أى الفلسفات التى زعمت أنها قد كشفت النقاب عن الحقيقة) كما عبرت عن نفسها عند "أرسطو" و"الرواقية" و"الأبيقورية". فأنكر "بيرون" (B. C. 275 - 365) Pyrrhon (مؤسس المذهب) أن يكون للمعرفة الحسية أو للمعرفة العقلية أدنى قيمة فى إيصالنا إلى معرفة حقائق الأشياء. والنظر العقلى والإدراك الحسى لا يستطيع كلاهما إلا أن يخدعنا دائماً، فنحن لا ندرك من الأشياء - فى الواقع - إلا ما يبدو لنا؛ فكل شئ فى الخارج هو بالنسبة إلى الذات المدركة مظهر فحسب. أما طبيعة الشئ فى ذاته فلا سبيل للوصول إلى معرفة كنهها⁽²⁾.

ولما كان الإنسان لا يستطيع أن يتوصل إلى يقين من خلال إدراكه للأشياء، فما عليه إلا أن يتوقف عن الحكم، أو أن يعلق حكمه عليها. والسبب فى تعليق الحكم عند "بيرون" ومدرسته هو أن الإنسان إذا ما حكم على شئ ما، فإنه يستطيع - فى اللحظة نفسها - أن يحكم على الشئ نفسه بضده. وإذا كان لكل رأى ما يعارضه وبالقوة نفسها، فلكى يخرج الإنسان من هذا التناقض المستمر، فما عليه إلا أن يتوقف عن إصدار الأحكام⁽³⁾.

وفى العصور الوسطى، كان توجيه النقد العلني للتفكير الميتافيزيقي - الذى ارتضته الكنيسة تأييداً للعقيدة المسيحية - أمراً محرماً. ومع ذلك ظهرت نزعات قوية وخفية معادية للتفكير الميتافيزيقي - فى هذا العصر - وإن خشي أصحابها أن يعرف أمرهم فينالهم عذاب ألیم. أما فى الفكر الإسلامى، فقد ظهر من مفكري العرب من هاجم الفلسفة و"الميتافيزيقا" من

غير هوادة، وقوضي الأسس التي قامت عليها ونذكر منهم: "الإمام الغزالي" (1058 - 1111) الذي اضطلع في كتابه "تهافت الفلاسفة" بتقنيدهم مزاعمهم وإبطال دعاويهم وإثبات ضعف عقيدتهم، وقد قصد - من وراء هذا كله - أن يبين عدم الوفاق بين الفلسفة والدين (4).

وتصدى لنقد التفكير الميتافيزيقي وهدمه - في العصر الحديث - أصحاب الفلسفات الواقعية والحسية ممن أنكروا الاهتمام بالعقل كأداة لمعرفة الحقيقة ومن بينهم نجد "هيوم"، الذي قصر موضوع العلم على ما تمدنا به التجربة وما يخضع للملاحظة. كان همه دراسة الظواهر البشرية مثلما تدرس ظواهر الطبيعة دون أن يتضمن هذا التصور الوضعي لعلم الإنسان - ولو تضمناً غير مباشر - حلاً لأي مسألة من المسائل الميتافيزيقية. ولقد ذهب إلى أن دراسة أي شيء آخر غير الظواهر الإنسانية يعنى التخلي عن فكرة علم للطبيعة البشرية على النمط النيوتوني [نسبة إلى نيوتن] والارتداد إلى التصور التقليدي للفلاسفة، وهو الذي أدى إلى نتائج غاية في البطلان (5).

وفي نهاية القرن التاسع عشر، شنت الوضعية الفرنسية ومؤسسها "أوجست كونت" Auguste Conte (1789 - 1857) حملة عنيفة على "الميتافيزيقا" واستبعادتها من نطاق البحث بحجة أنها عقيمة غير نافعة، كما أنها تمثل مرحلة من مراحل التفكير انقضى عهدها. وقد تطور هذا المذهب على يد أتباع "الوضعية المنطقية" Logical Positivism الذين أنكروا القضايا الميتافيزيقية بحجة أنها لا تشير إلى مدلول حسي في دنيا الواقع، وأنها مجرد كلام لا يحمل معنى .

هيوم ونقد الميتافيزيقا

الحق أن مذهب "هيوم" وحدة متسقة تتم عن نظرة واعية متعمقة للطبيعة البشرية، ويصقل هذه النظرة منهج متسق، حاول فيه الفيلسوف أن يبني علماً جديداً واضح المعالم سليم البنيان، هو علم الطبيعة البشرية، ولتحقيق هذا الهدف، كان لابد أن ينقد أصول الطبيعة البشرية نقداً تحليلياً يبين فيه انطباعات تجاربنا.

استهل "هيوم" فلسفته بالدعوة إلى المنهج العلمي، وهو المنهج الذى يلزم باتخاذ الملاحظة والتجربة أساساً له. ولكننا نراه يقر - بوضوح - بأن الخيال قوة مبدعة يدعوها "هيوم" بـ "تلقائية الذهن". وإلى هذه التلقائية الفضل فى ربط أمور الواقع بروابط وثيقة تحقق للمعرفة أصولاً راسخة يستند إليها علمنا بالواقع، وتمكن للعاطفة من أن تؤدي دورها الإنسانى فى الربط بين المشاعر، التى لا مفر لنا من إقرار حقيقتها، وبين الأهداف الاجتماعية التى تتطلب إثارة الغير على النفس. ومن ذلك نرى التعاطف فى مجال العمل يؤدي الدور نفسه الذى يؤديه الاعتقاد فى مجال النظر⁽⁶⁾.

هذه هى الفكرة الأصلية التى نفذ منها "هيوم" إلى مجال الأخلاق والتى تربط برابط وثيق بين جانبي النظر والعمل فى فلسفته وتجعلهما ينبثقان من معين واحد لا ينضب وهو معين العواطف والمشاعر والأحاسيس .

ولكن لم يقتصر "هيوم" على الاهتمام بالإحساسات والانطباعات والأفكار على النحو الذى عرضها فى كتابه "رسالة فى الطبيعة البشرية" وإنما دعا إلى أتباع منهجاً يرد كل فكرة إلى الانطباع الذى استمدت منه. وقد استعاض عن العقل الخالص الذى يتشبه به العقليون بملكة ابتكارية،

وابتكارها - كما يرى - ليس خلقاً وإنما تشكيلاً لمادة مستمدة أصلاً من الإحساس. هذه الملكة هي التي تمكن للاعتقاد من ترسيخ العلاقات وتثبيتها من ناحية، وتمكن للعاطفة من إرساء العلاقات البشرية على أركان وثيقة ودعامات متينة .

لقد شق "هيوم" طريقاً جديداً في مجال الفلسفة أيقظ عملاق الفلسفة الحديثة "كانط" من سباته فهو القائل عن "هيوم" :-

"إنني لأعترف صادقاً أن ما استذكرته من تعليم "ديفيد هيوم" كان هو على وجه التحديد العامل الذي أحدث - منذ أعوام كثيرة - أول هزة أيقظتني من سبات جمودي الاعتقادي، ووجه أبحاثي في مجال الفلسفة التأملية وجهة جديدة".

تحليل المعرفة

ذهب "هيوم" إلى أن العناصر التي تتألف منها معرفتنا كلها هي "الإدراكات" التي تتلقاها عقولنا وننفعل بها. فقسم "الإدراكات" إلى قسمين:- "الانطباعات" Impressions و"الأفكار" Ideas. وكلاهما في نظره من نوع واحد، وكل الفرق بينهما هو في درجة القوة التي تؤثر بها كل منهما في العقل. فالانطباعات أقوى في العقل أثراً وأوضح ظهوراً، أما الأفكار فهي الصور الباهتة لهذه الانطباعات. ولا يمكن أن تنشأ في العقول أفكار إلا إذا سبقتها انطباعات. إذن، فالانطباعات هي المرجع الوحيد الذي نقيس به صحة الأفكار وحقيقتها. ويقول هيوم:

"كل الإدراكات الحسية للعقل الإنساني تنحل بذاتها إلى نوعين يتميز إحداها عن الآخر وسوف أطلق عليهما اسم "الانطباعات"

و"الأفكار" ... ويندرج تحت الانطباعات كل إحساساتنا وعواطفنا وانفعالاتنا كما تظهر لأول وهلة في النفس. أما الأفكار فأعنى بها ما يكونه التفكير والعقل من صور لتلك الإحساسات والعواطف والانفعالات" (7).

ويميز "هيوم" بين نوعين من "الإدراكات": الإدراكات البسيطة والإدراكات المركبة. فالبسيطة هي التي لا تقبل القسمة أو الانفصال. أما المركبة فهي التي تنقسم إلى أجزاء، فمثلاً: إدراكنا "التفاحة" يشمل مجموعة من الصفات الخاصة بلونها وملمسها ورائحتها وهذه الصفات لا تختلط ونستطيع دائماً أن نميز الواحدة من الأخرى. لذلك فكل إدراكاتنا لها وجهان: بوصفها انطباعات حسية وبوصفها أفكاراً. على سبيل المثال :

عندما أغمض عيني وأفكر في حجرة، فإن أفكاري عنها تكون تمثلات للإدراكات الحسية التي كنت أحس بها. وإذا استعرضت إدراكاتي الأخرى فإنني أجد دائماً التشابه نفسه والتمثل نفسه. إذن فهناك توافق بين الأفكار والانطباعات الحسية (8).

والحق أن الأمر يختلف بالنسبة للإدراكات المركبة، فالأفكار المركبة لا تطابقها انطباعات حسية. وفي هذا الصدد يقول "هيوم" :

"من الممكن أن أتصور مدينة قدس جديدة New Jerusalem جدرانها من ذهب وأحجارها من ياقوت. علماً بأنني لم أر شيئاً مثل ذلك. ولكن إذا كنت رأيت "باريس" فهل من الممكن أن تكون عندي فكرة عن هذه المدينة تمثلها بكل شوارعها وبيوتها بشكلها وحجمها" (9).

ومن الإدراكات المركبة ما يؤكد ارتباط الأفكار بالانطباعات الحسية ومنها ما ينفيه. والأمر يبدو أكثر وضوحاً بالنسبة للإدراكات البسيطة. حيث

يرى "هيوم" أن كل فكرة بسيطة يجب أن يسبقها انطباع حسي، بينما العكس ليس صحيحاً. وبالتالي فإننا نستطيع أن نقول إن الانطباعات الحسية هي علة الأفكار، بينما الأفكار لا يمكن أن تكون سبباً للانطباعات الحسية. ولكن هناك تجربة أخرى يشير إليها "هيوم" بقوله:

"فلنفرض أن هناك شخصاً قد عرف مجموعة الألوان بدرجاتها المختلفة، باستثناء درجة خاصة من "اللون الأزرق" لم تتح له فرصة رؤيتها. فماذا يحدث عندما يصادفها. هل يستطيع بخياله وحده أن يكون لنفسه فكرة خاصة عن هذه الدرجة من اللون الأزرق؟ يعتقد البعض أنه لا يستطيع ذلك. ومن ثم فإن الأفكار البسيطة لا تشتق دائماً من الانطباعات الحسية المطابقة. وبجانب هذا الاستثناء الذي يمكن أن يحدث لقاعدة سبق الانطباع الحسي على الفكرة، فإننا يجب أن نضع حدوداً أخرى لهذه القاعدة وهي أن الإنسان يمكن أن يكون أفكاراً ثانوية من الأفكار الأولى. ومعنى هذا أن أفكارنا البسيطة تنتج عن الانطباعات الحسية على نحو مباشر أو غير مباشر" (10).

هذا هو - في نظر "هيوم" - المبدأ الأول والأساسي الذي تقوم عليه الطبيعة البشرية، وهذا المبدأ ينفي ما كان يتردد بين المفكرين من وجود أفكار فطرية في العقل، ويؤكد أن كل الأفكار تأتي إلينا عن طريق الإحساس والتفكير .

نقد جوهرية النفس

حاول "هيوم" الكشف عن المقدمة الأولى التي بنى عليها الميتافيزيقيون أوهامهم حول النفس الإنسانية، والتي تعتبر نقطة الانطلاق بالنسبة لكل براهينهم. وقد وجد أنها تتمثل في "خبرة الشعور بالذات"،

فالإنسان يشعر دائماً بذاته أو نفسه شعوراً لا يشوبه أدنى شك، وهذا الشعور ليس بحاجة إلى دليل أو برهان؛ لأن النفس التى يشعر بها الإنسان هى أساس كل إحساس أو إدراك أو انفعال أو عاطفة. فهى النواة التى تتعاقب عليها كل تلك الحالات المتغيرة، لذلك لا يمكن الشك فى وجودها لأنه لو حدث مثل هذا الشك لما كان هناك شىء يمكن أن نحكم عليه بأنه يقينى؛ فهى أكثر الأشياء التى تدخل فى حيز يقينا وهى أيضاً أقرب الأشياء إلينا. ولا يكتفى هؤلاء الميتافيزيقيون - كما يرى "هيوم" - بالتأكيد على وجودها، بل يتحدثون أيضاً عن طبيعتها، فهى - عندهم - ذات هوية تامة وهذه الهوية بسيطة، ومن ثم فهى خالدة⁽¹¹⁾.

ولا يختلف "كانط" عن "هيوم" فى تأكيده على أن خبرة الشعور بالذات أو "الأنا" هى المقدمة الأساسية التى بُنى عليها علم النفس العقلى - الذى يدعى أنه قادر على معرفة الطبيعة المطلقة للنفس دون الاستعانة بأية تجربة باطنة أو خارجية - هذه المقدمة التى استنبط منها الميتافيزيقيون كل النتائج المتعلقة بجوهرية النفس⁽¹²⁾. وقد رأى "كانط" أن الشعور بالذات فكرة لا تشير إلى كائن موجود هو "نفسى"، وإنما فكرة تعبر عن الشرط الضرورى لحصول المعرفة؛ فموضوعات المعرفة تحتاج إلى ذات تعرف تلك الموضوعات .

وبناء على ذلك، فإذا لم تكن النفس جوهرًا، فلا يمكن القول عنها أنها بسيطة ولكي يقال عن شىء ما أنه جوهر بسيط يلزم أولاً أن يكون جوهرًا. وإن لم تكن النفس جوهرية - وبالتالي ليست بسيطة - فإنها منطقياً ليست خالدة .

الميتافيزيقا عند الوضعية التقليدية

نشأت الفلسفة الوضعية التي تزعمها "أوجست كونت" ⁽¹³⁾ في عصر سيطر عليه ومهد له حادث اجتماعي عظيم وهو "الثورة الفرنسية" تلك الثورة التي قال عنها "كونت":

"إنه لولاها لما أصبح من الممكن الوصول إلى نظرية التقدم"، بعبارة أخرى لولاها لما وصلنا إلى علم الاجتماع ولا أصبحت الفلسفة الوضعية سهلة القبول" ⁽¹⁴⁾.

هذه الثورة أثارت حركة قوية بعيدة المدى في الأفكار وفي الفلسفة النظرية والسياسية، وتطلع المفكرون إلى البحث عن النظام الذي يجب أن يقوم بعد الثورة وعلى أنقاضها. وشعر "كونت" بضرورة إعادة تنظيم المجتمع من جديد، بل وجوب هدم العقائد والآراء السائدة عن المجتمع وظواهره - تلك العقائد التي لا يمكن البرهنة عليها - وأن تقوم على أنقاضها مجموعة منظمة من العقائد والآراء التي يستطيع العقل أن يدركها ويفسرها. لأن العقائد التي كانت سائدة - في تلك الفترة - لا يمكن شرحها وفهمها إلا بالرجوع إلى نظريات ميتافيزيقية جوفاء عن العالم وعن الإنسان، كما عرضها رجال الدين وبعض الفلاسفة. لكن العقل لا يقنع بهذه التفسيرات لأنه خطأ خطوات واسعة نحو التفكير الوضعي، وكان عليه أن يضع - بعد أن تطور - فكرة القانون العلمي موضع القوى الخارقة للعادة؛ وأن يضع العلم الوضعي موضع التفكير الميتافيزيقي. كما كان عليه أن يُحد من دائرة التفكير المطلق الذي يقوم على الخيال، فيصبح التفكير نسبياً مؤسساً على الملاحظة التي يستطيع العقل البشري أن يعللها ⁽¹⁵⁾.

أطوار التفكير الإنساني

يقول "كونت" فى مقدمة كتابه: "دروس فى الفلسفة الوضعية"

. The Course of Positive Philosophy

"إن الفلسفة الوضعية حققت العمومية والكلية التى كانت تنقصها، وأصبح التفكير الوضعى قادراً على أن يحل محل التفكير الميتافيزيقى فى تفسير العالم وما يشمله من الظواهر المختلفة" (16). وفى خاتمة الكتاب يقول:

"إن خلق هذا العالم واكتشافه يحقق الوحدة الضرورية للفلسفة الحديثة التى يجب أن تكون فلسفة مغايرة للفلسفة الميتافيزيقية، فهى فلسفة يجب أن تكون وضعية" (17).

وقد ظهر هذا العلم إلى الوجود باكتشاف "كونت" قانون (18) الأطوار الثلاثة، فاكتشاف علم الطبيعة البشرية مرتبط باكتشاف قانون الحالات الثلاثة للتفكير، بل إن اكتشاف هذا القانون هو الذى أوحى إلى "كونت" بفكرة وضع علم جديد يدرس الظواهر الاجتماعية .

يعلن "كونت" عن ظهور هذا القانون بقوله :

"فى كل فرع من فروع المعرفة الإنسانية نجد أن العقل الإنسانى بطبيعته يخضع بالضرورة فى سيره للمرور بثلاثة أطوار نظرية مختلفة ومتتابعة: الأولى هو الطور اللاهوتى (أو الخيالى) The Theological Stage. والثانى هو الطور الميتافيزيقى (أو التجريدي) The Metaphysical or Abstract Stage، أما الطور الثالث والأخير هو العلمى أو الوضعى The Positive Stage " (19).

وفي الطور اللاهوتي، كان الوعي البشري - في لحظته الطفولية - خاضعاً للتفكير الخيالي (الميثولوجي) شأن الطفل الصغير الذي يفهم ما يحدث أمامه من ظواهر بنسبتها إلى قوى شخصية مريدة، وكان الاعتقاد السائد أن الطبيعة تسيرها كائنات مفارقة تختفي وراء الطبيعة المرئية كالآلهة والشياطين. وفي الطور الميتافيزيقي، يظل العقل الإنساني يبحث عن كنه الأشياء وأصلها ومصيرها، ولكنه يرتقى فيتخلى عن الكائنات السامية غير المرئية؛ ويرد الظواهر إلى علل مجردة خفية يتوهمها في باطن الأشياء وهي معاني مجردة تسمى الماهيات أو الجواهر. وهنا يرى "كونت" أن الوعي الإنساني انتهج منهج العقل بدلاً من الخيال الذي كان آلية التفكير المهيمنة في المرحلة السابقة (20).

أما الطور الوضعي (أو العلمي) فهو طور النضوج العقلي أو مرحلة كشف القانون العلمي. وفيه يذهب العقل عند تفسيره للظواهر إلى القوانين التي تحكمها وتنظمها، فبدلاً من إرادة الآلهة أو القوى الميتافيزيقية؛ أصبح القانون العلمي هو محور البحث، وبدلاً من البحث المطلق اللامحدود أضحي البحث خاصاً بطائفة معينة من الظواهر حتى يطمئن العقل في الوصول إلى حقيقتها (21).

والنقطة الجوهرية التي استند إليها "كونت" في دراسته للأطوار الثلاثة، هي أن دراسة الوظائف العقلية الخاصة بالإنسان لا تصير وضعية ولا تصلح أن تكون موضوعاً للبحث الوضعي إلا إذا درست من وجهة نظر تاريخية واجتماعية. وهذا هو السبب في أن اكتشاف قانون الأطوار الثلاثة كان حادثاً عظيم الأهمية، لأنه فتح ميدان البحث العلمي؛ ووضع أول حجر في بناء فلسفة وضعية تدرس الإنسانية دراسة علمية وصفية تحليلية .

الميتافيزيقا عند الوضعية المنطقية

عارض "كونت" العقائد السائدة، وأخذ على عاتقه تصنيف شامل لكل العلوم، بادئاً بالرياضيات ومنتهاً إلى علم الاجتماع. وذهب - في معارضته للتفكير الميتافيزيقي - إلى ضرورة البدء بما هو معطى مباشر في التجربة والامتناع عن محاولة تجاوز الظواهر. وقد مهد "كونت" بعلمه الوضعي هذا لظهور ما يسمى بـ "الوضعية المنطقية" Logical Positivism⁽²²⁾ التي بدأت مع "موريتس شليك" Moritz Schilck (1882 - 1936) الذي شغل كرسي الفلسفة بجامعة "فينا" The Vienna Circle⁽²³⁾.

وقد بدأ الجيل الأول من الوضعيين الموجودين في "فينا" عملهم تحت تأثير "أرنست ماخ" Ernst Mach (1838 - 1916) [أول من تولى تدريس فلسفة العلوم في جامعة فيينا عام 1901] ثم خلفه "لودفيج بولتزمان" Ludwig Boltzmann (1844 - 1906). وقد تمسك أعضاء الجماعة - منذ البداية - بالفكرة القائلة إن نظرية المعرفة ما هي إلا دراسة منطقية للغة المعبرة عن نتائج العلم، وترتب على هذا التحليل المنطقي للغة العلم نتيجة مؤداها أن قضايا "الميتافيزيقا" فارغة المعنى ولا تقول شيئاً⁽²⁴⁾.

ويمكن أن ننسب وجود ثلاثة روافد أثرت في نشأة هذه الحركة الفلسفية: أولاً: تأثرت بالفلسفتين التجريبية والوضعية السابقتين عليها، وبصفة خاصة عند "هيوم" و"جون ستيوارت مل" John Stuart Mill (1806 - 1873) و"هنري بوانكاريه" Henri Poincaré (1854 - 1912). إلا أنها تختلف عن الفلسفة التجريبية التقليدية، في أنها أرادت أن تعيد بناء المنطق، لا برده إلى التجربة - كما فعل "مل" - وإنما بالتعرف على

حقيقته. ومن هذا المنطلق، حاولت - هذه الحركة - أن تربط التراث التجريبي بالتطور الجديد في المنطق .

ثانياً: تأثرت الوضعية المنطقية بعلم المناهج الخاص بالعلم التجريبي، كما تطور على يد العلماء منذ منتصف القرن التاسع عشر من أمثال "أرنست ماخ" و"هنري بوانكاريه" و"ألبرت أينشتاين" (Albert Einstein 1879 - 1955). كما تأثرت - أخيراً - بالمنطق الرمزي والتحليل المنطقي للغة، كما تطور عند كل من "جوتلوب فريجه" (Gottlob Frege 1848 - 1925) و"برتراند رسل" (Bertrand Russell 1872 - 1970) و"لودفيج فيتجنشتاين" (Ludwing Wittgenstein 1889 - 1951) ⁽²⁵⁾.

ويمكننا القول - دون الوقوع في خطأ التعميم - إن الوضعيين المناطقة يتفقون جميعاً على ما يلي :

- أ- التمسك بآراء "هيوم" في السببية والاستقراء .
- ب- التأكد على أن قضايا المنطق والرياضة هي تحصيل حاصل .
- ج- النظر إلى الفلسفة بوصفها تحليلاً منطقياً .
- د- التأكيد على أن مثل هذا التحليل يؤدي إلى استبعاد "الميتافيزيقا" ⁽²⁶⁾.

رودلف كارناب

رأى الوضعيون ضرورة رفض كل محاولة عقلية يراد بها تجاوز التجربة للوصول إلى معرفة مجردة يكون قوامها العقل وحده، ومعنى هذا أنه من المستحيل على الإطلاق - من وجهة نظر الوضعيين المناطقة - إيجاد أسس علمية لـ "الميتافيزيقا"؛ لأنه إذا كان المقصود بـ "الميتافيزيقا" البحث الذي يتجاوز موضوعه نطاق المعطيات الحسية، فإنه من العبث أن نطلق

على مثل هذا البحث اسم "العلم"، وحينما نحاول التعرض لمثل هذا البحث، فإن عقلنا سرعان ما يقودنا إلى مشاكل لا حل لها ⁽²⁷⁾.

وها هو "كارناب" Rudolf Carnap (1891 - 1970) يتوقف عند بعض القضايا الميتافيزيقية التقليدية كالقضية القائلة بأن "ثمة إلهاً"، أو أن "العلّة الأولى للعالم هي اللاشعور" أو أن هناك "قوة فاعلية هي المبدأ الموجه لسائر الكائنات الحية" ويرى أن مثل هذه القضايا لا يمكن الزعم بأنها قضايا كاذبة، بل كل ما يريده أن يقوله أنها قضايا فارغة تماماً من المعنى. والسبب في ذلك أن هذه القضايا الميتافيزيقية ليست قضايا تحليلية، كما أنها - في الوقت نفسه - لا تقبل التحقيق تجريبياً، فهي لا يمكن أن تكون إلا مجرد "أشباه قضايا" Pseudo-propositions ⁽²⁸⁾.

وقد أكد "كارناب" في مقاله "استبعاد" الميتافيزيقا" من خلال التحليل المنطقي للغة "The Elimination of Metaphysics Through Logical Analysis of Language" أن التحليل المنطقي لـ "الميتافيزيقا" وضمناها كل فلسفة للقيمة، وكل نظرية معيارية، أفضى إلى نتيجة سلبية مفادها أن القضايا المزعومة - في هذه المجالات - تخلو تماماً من أى معنى؛ ومن ثم لا بد من استبعاد "الميتافيزيقا" استبعاداً تاماً ⁽²⁹⁾. ولذلك صاغ "معيّار القابلية للتحقيق" Principle of Verification على النحو التالي:

"ليس في وسع القضية أن تثبت إلا ما يمكن التحقق منه، ومن ثم إذا

كانت العبارة تُستخدم لإثبات شيء ما؛ فإنه لا يمكن استخدامها لإثبات قضية تجريبية فحسب" ⁽³⁰⁾.

ويقسم "كارناب" القضايا التي تحمل معنى إلى ثلاث فئات:

أ - قضايا صادقة بالنسبة لصورتها وحدها، وهذه القضايا - في رأى

"كارناب" - لا تقول شيئاً عن عالم الواقع، ويدخل ضمن هذه القضايا قواعد المنطق والرياضة .

ب- قضايا تتطوى على تناقض منطقي، وهذه قضايا كاذبة بالنسبة لصورتها .

ج- أما القضايا التي تبقى بعد ذلك، فهي أحكام التجربة التي تتعلق بالعلم التجريبي وقد تكون صادقة أو كاذبة .

وعلى هذا الأساس، يذهب "كارناب" إلى القول بأن القضايا التي لا تنتمي إلى قضايا المنطق والرياضة أو إلى قضايا العلوم التجريبية، هي خلو من كل معنى. وقضايا "الميتافيزيقا" هي - في نظره - من هذا القبيل.

وجاء "كارل بوبر" Karl Popper (1902 - 1994) وتصدى لمناقشة آراء الوضعيين المناطقة ووجه إليها نقدين أساسيين:

أولها، ضرورة إحلال مبدأ إمكان التكذيب Falsifiability محل مبدأ إمكان التحقق كمعيار للتمييز بين العلم و"الميتافيزيقا". فإذا كانت القضايا التي يمكن التحقق من صدقها هي فقط ذات معنى، فإن أى نقاش حول المعنى؛ يصبح بدوره خالياً من المعنى. وسوف تخلو من المعنى كل المناقشات التي تشرح معايير الوضعيين لتمييز العلم.

وثانيهما، يرى "بوبر" أن "الميتافيزيقا" - وإن اختلفت عن العلم - فهي كذلك لها معنى، كما يمكنها في بعض الحالات أن تفيد العلم بطريقة إيجابية. إنها تقدم - تبعاً لـ "بوبر" - إطاراً لا غنى عنه يمكن من خلاله تشييد النظريات العلمية ومقارنتها بالتجربة. و"الميتافيزيقا" - بهذا المعنى - تعمل كمرشد أو موجه للعلم⁽³¹⁾.

الهوامش

- (1) إن لفظ الشك Scepticism إنما يرجع إلى كلمة يونانية معناها البحث والتقصي من أجل الكشف عن الحقيقة. ولكن هذا اللفظ اتخذ مدلولاً اصطلاحياً بعد ذلك، ليشير إلى موقف الإنسان الذي يبحث عن الحقيقة ولم يجدها .
- (2) انظر في ذلك: د. حسين على، ما هي الفلسفة، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 135.
- (3) د. توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص 302 .
- (4) المرجع السابق، ص ص 258 – 259.
- (5) د. محمد فتحي الشنيطي، فلسفة هيوم بين الشك والاعتقاد، مكتبة القاهرة الحديثة، 1956، ص 19.
- (6) المرجع السابق، ص 4.
انظر أيضاً:
- Roger Scruton, A Short History of Modern Philosophy From Descartes to Wittgenstein, Land Second edition, 1995, p. 97.
- (7) David Hume, A Treatise of Human Nature, edited by L, A, Selby-Bigge M. A, Oxford at the Clarendon press, 1960, p. I.
- انظر كذلك: د. محمود زيدان، نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص 40.
- (8) James Collins, A History of Modern European Philosophy, pp. 410 – 411.
- (9) D, Hume, op. cit., p. 3.
- (10) Ibid, p. 4.
- (11) انظر في ذلك: د. محمد عثمان الخشت، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1997، ص 94 .
- (12) انظر: د. عبد الرحمن بدوي، إيمانويل كنت، ص 282 .
- (13) يرى "كونت" أن فلسفته الوضعية الجديدة هي آخر مراحل التفكير، وهي الفلسفة التي يطمئن في ظلها العقل الإنساني في دراسته للنظام الكوني العام؛ ولمجموعة التصورات والظواهر الإنسانية .
- انظر: د. مصطفى الخشاب، أوجست كونت، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1950، ص ص 29 – 30 .

(14) نقلاً عن المرجع السابق، ص 30 .

(15) المرجع السابق، ص 33 .

(16) نقلاً عن د. مصطفى الخشاب، المرجع السابق، ص 69 .

Auguste Comte, Encyclopedia. Com

انظر أيضاً:

<http://www.encyclopedia.com/doc.aspx?Id=1E1comte.Au>

(17) نقلاً عن د. مصطفى الخشاب، المرجع سالف الذكر، ص 70 .

(18) ترجع بذور قانون الأطوار الثلاثة إلى القرن الثامن عشر عند "كوندرسيه" Condorcet (1743 - 1794) و"ترجو" Turgot (1727 - 1781) ولكن ظهوره بصورة واضحة -

وبطريقة فلسفية ومنطقية - إنما ينسب إلى "أوجست كونت" .

(19) نقلاً عن د. مصطفى الخشاب، مرجع سبق ذكره، ص ص 70 - 71.

انظر كذلك: ليفي بريل، فلسفة أوجست كونت، ترجمة د. محمود قاسم، ود. السيد محمد بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1952، ص ك من مقدمة الترجمة .

(20) وضعية أوجست كونت

<http://www.Eltwhed.com/vb/showthread.Php?t=2586.html>

(21) د. مصطفى الخشاب، المرجع السابق، ص 72 .

(22) عادة ما تُوصف الوضعية المعاصرة بصفات عدة، فقد تُوصف بالوضعية الجديدة New

Positivism أو الوضعية المنطقية Logical Positivism أو التجريبية المتسقة Consistent

Empiricism أو الوضعية الجديدة المنطقية Logical New Positivism .

راجع في ذلك: د. محمد مهران ود. محمد مدين، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص 195.

(23) حول النشأة التاريخية لجماعة فيينا انظر كتاب: د. حسين على، فلسفة العلم عند

هانزريشنيباخ، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 37.

(24) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

Logical Positivism

انظر أيضاً:

<http://www.philosophypages.com/hy/16quhtm>

(25) د. محمد مهران ود. محمد مدين، المرجع سالف الذكر، ص 197 .

قارن كذلك: د. عزمي إسلام، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، وكالة المطبوعات، الكويت،

1980، ص 112 .

- (26) د. حسين على، الميتافيزيقا والعلم، ص 65.
- (27) المرجع السابق، ص 66 .
- (28) د. زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، 1987، ص 272.
- (29) د. حسين على، المرجع سالف الذكر، ص 67 .
- (30) المرجع السابق، الصفحة نفسها .
- (31) المرجع السابق، ص 93 .
